محاضرات موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس- أدب عربي

السداسي الثاني

المحاضرة الأولى: أصول النقد المعاصر

شكّل النقد الأدبي نشاطًا إنسانيًا أصيلًا، إذ إنّ الإنسان بطبعه يميل إلى التمييز والحكم، مستندًا إلى ما يمتلكه من ذوق وذكاء وقدرة على الفهم والمناقشة. لذلك يمكن القول إنّ النقد فطري في الإنسان، غير أنّ ممارسته تختلف من شخص إلى آخر؛ فبينما يظل عند الإنسان العادي في حدود الانطباع، يرتقي عند المثقف والناقد إلى مستوى التحليل المنهجي القائم على أسس علمية. وقد رافق النقد الأدب منذ نشأته، إذ لم يكن الإبداع الأدبي يومًا منفصلًا عن فعل التقييم والتأمل، بل ظل النقد يسير معه في مسار متوازٍ، يصفه ويحلله ويكشف عن قيمته الجمالية والفنية.

ويُعرّف النقد في اللغة بأنّه تمييز الجيد من الرديء، كما يُقال في نقد الدراهم، أي إخراج الزائف منها، وهو أيضًا الفحص والكشف. أمّا في الاصطلاح، فهو عملية تحليل وتقويم للنص الأدبي بعد اكتماله، تهدف إلى إبراز مواطن الجمال والقصور فيه، والحكم عليه وفق معايير محددة. وقد قدّم سيد قطب تصورًا شاملًا لمهمة النقد، حيث رأى أنّه لا يقتصر على تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية فحسب، بل يتعدى ذلك إلى بيان قيمته التعبيرية والشعورية، وتحديد مكانته في مسار الأدب، والكشف عن أثره في التراث الأدبي، فضلًا عن تحليل العوامل النفسية والخارجية التي أسهمت في تشكيله. ومن هنا يتضح أنّ النقد ليس مجرد إصدار أحكام، بل هو نشاط معرفي مركّب يجمع بين الفهم والتفسير والتقويم.

وقد عرف النقد الأدبي تطورًا ملحوظًا عبر التاريخ، متأثرًا بتطور الأدب نفسه. فكما تغيّرت موضوعات الشعر العربي وأشكاله من المقدمات الطللية في العصر الجاهلي إلى الغزلية ثم الخمرية، وكما انتقل من القصيدة العمودية إلى الشعر الحر وأشكال حديثة أخرى، شهد النقد بدوره تحولات عميقة، تعكس سعيًا دائمًا إلى كسر المألوف ومواكبة التجديد. ولم يعد النقاد يكتفون بما ورثوه عن السابقين، بل صاروا يميلون إلى تجاوز المناهج التقليدية والبحث عن مقاربات جديدة تمكّنهم من فهم النصوص الأدبية بشكل أعمق.

وفي هذا السياق، برز مفهوم "المقاربة النقدية" بوصفه الإطار المنهجي الذي يعتمد عليه الناقد في قراءة النص. فالمقاربة ليست سوى زاوية نظر أو طريقة في التحليل، يختارها الناقد وفق طبيعة النص وهدف الدراسة. ومن ثمّ، فإن نجاح العملية النقدية يتوقف على حسن اختيار المقاربة المناسبة، وعلى وعي الناقد بحدودها وإمكاناتها. كما تبرز أهمية المصطلح النقدي في هذا المجال، إذ يُعد أداة أساسية لضبط المفاهيم وتحديد الدلالات، غير أنّه يظل متحركًا ومتغيرًا، ينتقل من لغة إلى أخرى ومن ثقافة إلى أخرى، مما قد يسبب نوعًا من الغموض أو التداخل في الفهم.

ومع تطور الفكر الإنساني، ظهرت مفاهيم الحداثة والمعاصرة، اللتان كان لهما أثر كبير في تشكيل النقد الأدبي. فالحداثة، المرتبطة بفكرة التجديد والتطور، قامت على تحولات معرفية كبرى شملت الفلسفة التجريبية والعقلية وفلسفة الشكل، بينما تعكس المعاصرة ارتباطًا أوثق بالواقع الراهن، إذ تعبّر عن كل ما يواكب الحاضر ويتفاعل معه. وقد أسهمت هذه التحولات في ظهور النقد المعاصر، الذي يُقصد به تلك التيارات النقدية التي برزت منذ النصف الثاني من القرن العشرين، ولا تزال مستمرة إلى اليوم، حاملة معها مفاهيم وأدوات جديدة في تحليل النصوص الأدبية.

وقد تميّز النقد المعاصر بتعدد مناهجه، نتيجة لتأثره بالعلوم الإنسانية المختلفة. فظهر المنهج النفسي الذي أسسه سيغموند فرويد، حيث سعى إلى تفسير النصوص الأدبية من خلال الكشف عن الدوافع اللاواعية والرغبات المكبوتة لدى الكاتب، ثم جاء كارل يونغ ليطوّر هذا الاتجاه بإدخال مفهوم اللاوعي الجمعي والرموز الكونية. وفي مقابل ذلك، برزت المناهج السياقية التي ركزت على الظروف الخارجية للنص، كالعوامل الاجتماعية والتاريخية، معتبرة أنّ النص لا يُفهم بمعزل عن بيئته.

غير أنّ التحول الأكبر تمثل في ظهور البنيوية، التي ارتبطت بأعمال فرديناند دي سوسير، حيث دعت إلى دراسة النص بوصفه بنية مستقلة، قائمة على علاقات داخلية بين عناصره اللغوية. وقد أسهم في تطوير هذا الاتجاه نقاد مثل تزفيتان تودوروف وأمبرتو إيكو، الذين نظروا إلى النص باعتباره نظامًا دلاليًا مفتوحًا على التأويل. ثم جاءت مرحلة ما بعد البنيوية، التي مثّلها جاك دريدا ورولان بارت، لتنتقد فكرة المعنى الثابت، وتؤكد أنّ النص قابل لقراءات متعددة، وأنّ القارئ يلعب دورًا أساسيًا في إنتاج المعنى، وهو ما مهّد لظهور نظرية التلقي.

وهكذا انتقل مركز الاهتمام في النقد من الكاتب إلى النص، ثم إلى القارئ، في مسار يعكس تطور الوعي النقدي وتعدد زوايا النظر إلى العمل الأدبي. غير أنّ هذا التعدد لم يخلُ من إشكالات، إذ إنّ بعض المناهج بالغت في الاعتماد على مرجعيات خارجية، كعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة، مما أدى أحيانًا إلى إهمال النص ذاته. كما واجهت بعض هذه المناهج صعوبات في التطبيق، خاصة عندما لا تتلاءم أدواتها مع طبيعة النصوص المدروسة.

وعلى الرغم من هذه الإشكالات، يبقى النقد الأدبي المعاصر مجالًا حيويًا ومتجددًا، يعكس ثراء الفكر الإنساني وتنوعه. فهو لا يقدم إجابات نهائية بقدر ما يفتح آفاقًا جديدة للفهم والتأويل، ويمنح النصوص الأدبية حياة متجددة من خلال تعدد قراءاتها. ومن هنا، فإنّ التحدي الذي يواجه الناقد المعاصر لا يكمن في اختيار منهج واحد، بل في القدرة على التوفيق بين المناهج المختلفة، بما يسمح بتقديم قراءة شاملة ومتوازنة، تحافظ على خصوصية النص وتكشف في الوقت ذاته عن أبعاده العميقة.

وفي ضوء ذلك، يمكن القول إنّ النقد الأدبي لم يعد مجرد تابع للإبداع، بل أصبح شريكًا أساسيًا في إنتاج المعنى، يسهم في بناء المعرفة الأدبية وتطويرها، ويجعل من النص فضاءً مفتوحًا للحوار والتفاعل المستمر.

أهم المراجع التي يمكن الرجوع إليها:

1. إبراهيم أحمد ملحم، *تحليل النص الأدبي: ثلاثة مداخل نقدية*، عالم الكتب الحديث، إربد (الأردن)، ط1، 2012.
2. محمود الربيعي، *مداخل نقدية معاصرة إلى دراسة النص الأدبي*، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 2-1، 2001.
3. جميل حمداوي، *مناهج النقد العربي الحديث والمعاصر*، مكتبة المعارف، الرباط، ط1، 2011.
4. صلاح فضل، *مناهج النقد المعاصر*، دار الآداب، بيروت.
5. عبد الله الغذامي، *الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية*، المركز الثقافي العربي، الدار الب يضاء.
6. محمد مفتاح، *تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
7. عبد الملك مرتاض، *في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد*، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
8. سعيد يقطين، *تحليل الخطاب الروائي*، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
9. حميد لحمداني، *بنية النص السردي: من منظور النقد الأدبي*، المركز الثقافي العربي.
10. حسين الواد، *في مناهج الدراسات الأدبية*، دار سحر للنشر، تونس.
11. عبد السلام المسدي، *الأسلوبية والأسلوب*، الدار العربية للكتاب.
12. عبد الله إبراهيم، *موسوعة السرد العربي*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- **مراجع في النظريات النقدية الغربية (مترجمة)**

13. فرديناند دي سوسير، *محاضرات في اللسانيات العامة*، ترجمة عربية، دار الكتاب الجديد المتحدة.
14. رولان بارت، *لذة النص*، ترجمة عربية، دار توبقال للنشر.
15. رولان بارت، *موت المؤلف*، ضمن مقالات نقدية مترجمة.
16. جاك دريدا، *الكتابة والاختلاف*، ترجمة عربية.
17. أمبرتو إيكو، *القارئ في الحكاية*، ترجمة عربية.
18. تزفيتان تودوروف، *مدخل إلى الأدب العجائبي*، ترجمة عربية.